

مسالك خطاب المرأة العربية الإسلامية والأعراف المجتمعية بين التقاطع - التكامل والامتداد

Pathways of Islamic Arab women's discourse and societal norms between
intersection - integration and extension

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة سيدي بلعباس- الجزائر. مخبر الدراسات والبحوث الاجتماعية في الجزائر-حول الجماعات المحلية وتسيير الشأن العام – جامعة سيدي بلعباس.	علم الاجتماع	د. لبعير بلعباس LABAIR Belabbas* labair44_abbes@yahoo.fr
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة سيدي بلعباس- الجزائر. مخبر الدراسات والبحوث الاجتماعية في الجزائر-حول الجماعات المحلية وتسيير الشأن العام – جامعة سيدي بلعباس.	علم الاجتماع	د. بوعناني براهيم BOUANANI Brahim brahim_socio@yahoo.fr
DOI: 10.46315/1714-011-002-036		

الإرسال: 10/02/2021 القبول: 13/06/2021 النشر: 31/03/2022

ملخص: يُعدُّ موضوع المرأة العربية الإسلامية محل نقاشات فكرية واسعة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، تتراوح بين الطرح التقدمي الداعي إلى تحررها من قيود المجتمع بعاداته وتقاليده وقيمه من ناحية، وبين الطرح الذي يريد العودة بها إلى أنماط الفكر والسلوك القديمة التي صنعها العرف الاجتماعي، ويقع بينهما طرح آخر حاول التوفيق بين الطرحين السابقين لفك لغز الاشتباك والالتباس بين النص وتأويلاته الخاضعة للخلفيات السوسيوثقافية لهذه المجتمعات. من هذا المنطلق نحاول إضافة قراءة متجددة آخذين بعين الاعتبار السياقات التاريخية، الاقتصادية، السوسيوثقافية والسياسية التي يتم فيها طرح موضوع المرأة والأعراف المجتمعية، مستخدمين في ذلك مقاربات منهجية مختلفة قصد ملامسة قراءة تحليلية استنتاجية من شأنها أن تفتح سبل بحث وأفاق جديدة.

الكلمات المفتاحية: المرأة العربية الإسلامية؛ الأعراف؛ التقاطع؛ الخطاب؛ السياقات السوسيوثقافية.

Abstract: The topic of Arab Islamic women is the subject of extensive intellectual debates in the humanities and social sciences, ranging from the progressive discourse that calls for its liberation from the restrictions of society with its customs, traditions and values on the one hand, and the proposition that it wants to return to the old patterns of thought and behavior created by social custom on the other hand, and between them lies another proposition that tried to reconcile the two previous propositions to solve the mystery of the clash and confusion between the text or its interpretations that are subject to the sociocultural backgrounds of these societies. This is why we are trying to add a renewed reading, taking into consideration the historical, economic, sociological, and political contexts in which the topic of women and societal norms is brought up, using various methodological approaches, and then approaching an analytical reading that will open a flow of research and new horizons.

Keywords: Arab Muslim woman; Customs; Intersection; Discourse; Sociocultural Contexts.

مقدمة:

تريد هذه الأسطر المجازفة في قراءة الخطاب حول المرأة في العالم العربي في سجلاته الثلاثة وفحص مستوياته في موضع يتراوح تارة بين خطاب التحديث والانفتاح وبين خطاب التشبث بالتقاليد والأعراف المجتمعية تارة أخرى، ما بينهما خطاب توفيق يمزج بين النموذجين المتصارعين على البقاء، لفحص هذه الإشكالية نعتد المنهج الاستقرائي للكشف عن مكانة المرأة في الجوانب الاجتماعية والدور الذي أتى به الوحي لقلب المفاهيم والمعارف الاجتماعية في أخلاقيات الشعوب رغم التناقضات الموجودة بين النصوص الرسمية كقوانين الأسرة وقوانين الأحوال الشخصية وبين الواقع اليومي للمرأة العربية الإسلامية ومن ثم إزاحة الغطاء عن التمثلات الاجتماعية التي تصنعها القوى المهيمنة في المجتمع باسم الدين والعادات والتقاليد والأعراف المجتمعية.

1. إشكالية المفهمة والمنهج في خطابات المرأة والأعراف المجتمعية:

تدور الخطابات المخصصة للمرأة والأعراف المجتمعية اليوم، وفق ثلاثة سجلات متباينة في الطرح، منها ما أخذ من النموذج العتيق والمحافظ ليخوض صراع البقاء مدعوما بقوة تاريخ طويل، أثر تأثيرا في الوعي وفي الواقع، ومنها ما أخذ من النموذج الغربي منطلقا لإعادة قراءة التراث المتعلق بالمرأة وعلاقتها بالمجتمع، ومنها من يريد أن يمزج بين الطرح الأول والطرح الثاني لتحاشي الوصمة التي نعت بها التيار النسوي الإسلامي التحرري من خلال أسلمة الجندر والتمكين للمرأة (أوريليا، ش، 2017، ص 38)، وكل هذه الأطاريح تركز على النص القرآني والحديث النبوي في استجلاء الحجج والبراهين الموجودة في أصل اللغة التي وظفها القرآن الكريم والحديث النبوي.

هذا التداخل في الخطابات يطرح أزمة مفاهيم على مستوى الفكر من حيث الضبابية في الرؤية والمنهج، وهو ما سيؤثر سلبا على النسق الفكري، وعلى ممارسته في أرض الواقع. يعود غموض المفاهيم وتشوهها، إلى تعدد دلالاتها وكثرة استعمالها وتكراراتها في سياقات اجتماعية كثيرا ما تختلف عن السياقات الاجتماعية التي وردت فيها.

تختلف المفاهيم حول المرأة والأعراف المجتمعية عند ثلاث مستويات: الواقع المقنن (القرآن والسنة النبوية- قوانين الأحوال الشخصية)- الواقع المتمثل (منطق القوى المهيمنة في المجتمع)- الواقع المعيش (تحده الممارسات والسلوكات اليومية) (بوعقادة، ه، 2016، ص 44)، ذلك أن التركيب المعقد في هذه المستويات يتفرع ويتحدث عن الأفكار والآراء والتصورات والخيالات وكل التراكمات التي رافقت العلاقة بين الجنسين في تاريخ تنشئتهما الاجتماعية والثقافية، ولما تحل

إشكالية المفهمة في الخطاب الموجه إليهما بالكشف عن التناقضات بين الواقع المتمثل والواقع المعيش في إطار علاقتهما بالواقع المقنن باعتبار النص القرآني يحمل قيما ومعايير إنسانية، وعندما نكشف عن التناقضات الأيديولوجية في مضمون الخطابات التراثية المحافظة والحديثة- المعاصرة بما تحمله من قيم ومعايير وأعراف ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية توجه سلوك الرجل والمرأة باعتبارهما أعضاء في الجماعة (موسي، أ، 2011، ص 129).

لتحديد ذلك بشكل أدق سنعود إلى السجلات الخطابية الخاصة بموضوع المرأة اليوم لقراءة مفاهيمها حول مسألة القوامة في النص القرآني والتفاسير المتعددة الاجتهادات منها: تفاسير التراث- تفاسير الرأي- تفاسير الاجتهاد- تفاسير الأحكام الفقهية- التفاسير التأويلية أو الإشارية، كلها أكدت على أسبقية التنزيل وخضع منهجها لأولوية اللغة والتراث، بالتالي أعادت إنتاج نفس المعرفة والفهم للنص، كأنها ضبطت أزلية الخطاب الإلهي (أركون، م، 1999، ص 26).

نافلة الكلام في تحليلنا تنطلق من تفسير القوامة المتوارث في الفقه الإسلامي، لا كمعطى ثابت يستوي مع مقام النص القرآني، من ثم يمكن مراجعته عند القرطبي- الطبري- الجالين- ابن كثير- السيد قطب- محمد البوطي- احمد البدوي...أو القراءة القرآنية التي قدمها محمد أركون- محمد عابد الجابري- القراءة النسوية الإسلامية لفاطمة المرينسي- أميمة أبو بكر- آمنة ودود- أسماء لمرايط- سعدية الشيخ- مروة شرف (شرف الدين، م، 2019)...

1-1 خطابات المحافظين والمحافظين الجدد:

الحقيقة الأسرية ليست امرأة فقط، وليست رجلا كذلك، إنما هي كيان متكامل تقوم فيه المرأة بوظيفتها والرجل أيضا، عندها يزول اللبس كمعطى يتعامل مع الأفكار والتصورات الطوبوية، ليحل الواقع بجميع معطياته الحسية والمعنوية في العلاقة بين الرجل والمرأة.

ينطلق تفسير المحافظين والمحافظين الجدد للقوامة من اللغة، فقوام الشيء، أي عماده والقوامة هي القيام على الأمر (ابن منظور، ص 233)، أما في اصطلاح الفقهاء فإنهم يقصدون ثلاثة معاني: القيم على القاصر- القيم على الوقف- القيم على الزوجة- فالقوامة الزوجية في نظرهم هي ولاية يفوض بها الزوج للقيام بشؤون زوجته بالتدابير والصيانة (تقرير لجنة علماء الأزهر، ص 41)، ورعايتها التي اثر عقد الزواج على نحتها بينهما طبقا لقوله تعالى: «وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذنا منكم ميثاقا غليظا ..» (القرآن الكريم، الآية 21، النساء)، أي وضع المرأة تحت قيم يقوم بها وينظر في مصالحها وهو ما يتعارض مع رأي القوامة قهرا وإلغاء للمرأة، من ذلك القصد الذي ينظر إلى تدبير ورعاية حقوقها. الأصل في مشروعية القوامة عند

هؤلاء المفسرين يستند على النص القرآني في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (القرآن الكريم، الآية 34، النساء)، وقد نص جمهور علماء المسلمين من المفسرين والفقهاء على أن الآية هي الأصل في قوامة الرجل على زوجته، أما في مجامع السنة النبوية فقد وردت الأحاديث التي تأمر الزوجة بطاعة زوجها مثلما جاء في حديث النبي(ص): «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (حديث، رقم 674)، وفي الجهة المقابلة، يقول النبي(ص): «وعاشروهن بالمعروف» وفي حديث آخر: «خيركم، خيركم لأهله»، وترجع هذه التفسيرات سبب قوامة الرجل على الزوجة إلى اختلافتهما الجسدية والخلقية، فهو في نظرهم كامل الخلقة، معتدل العاطفة، سليم البنية، فهو بذلك مفضل في القوة والعزم، ومنه كانت النبوة والرسالة والإمامة والقضاء خاصة بالرجال دون النساء، بالإضافة إلى إقامة الأذان والجهاد والجمعة... كما جعل الطلاق بيد الرجال، والشهادة في الجنائيات والحدود، والإنفاق على الزوجة والقريبة وإلزامه بالمهر إلخ (ابن كثير، ص 503)... وإذا ضعف أداء القوامة عند الرجل فما هو مصير المرأة؟ أي أن تصبح المرأة هي التي تنفق، هنا يقول بعض الفقهاء أن القضية ليست قضية إنفاق بقدر ما هي متعلقة بالنوع الأكثر كفاءة، عقلا وفكرا واتزاناً، بمقتضى الفطرة والخلق الذي يخص به الرجل دون المرأة.

2-1 خطاب القوامة التوفيقي:

في الجهة المقابلة، انتقل الاتجاه النقدي المعاصر عند الشيخ محمد الغزالي، إلى أن قوامة الرجل على المرأة لا تعني سيادته عليها، لأن القرآن لا يضطهد المرأة وإنما التأويل الذكوري هو الذي شوه النص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَمَنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَمٌ دَرَجَةً﴾ (القرآن الكريم، الآية 228، البقرة).

الخروج من تأويل الذكورية الفقهية في المذاهب الأربعة في باب القوامة والدخول في التفسير القائم على مبدأ المساواة بين الجنسين، يجعلنا نفرق بين المرأة في الإسلام الفقهي والمرأة في الإسلام القرآني ويكشف الغطاء عن ما يستتر تحت غطاء التأويل عند المحافظين الجدد من أمثال حسن البنا والسيد قطب ويوسف القرضاوي ودعاة نكاح الجهاد وملكة اليمين في كتائب النساء وكتائب الخنساء... ومن هنا تصبح الدونية التي ألصقها الفقهاء والمفسرون بالمرأة ما هي إلا الواقع لرؤية مشوهة تجاه المرأة وكانت انعكاساً لما كان سائداً في تلك المجتمعات ذات الطابع الذكوري، وهو ما

انعكس على عديد من الأحكام الخاصة بالمرأة وفي مقدمتها: (القوامة وشهادة المرأة وضربها ونقصان عقلها). (أمنة، و، 2006، ص 57).

لقد تفاجأ مجتمع الصحابة من هذه النقلة النوعية التي نقلها القرآن للمرأة، وبهذه الترسانة من التشريعات وبيان الحقوق والواجبات ويكفي أن نذكر هنا المقولة التي تنسب إلى عمر ابن الخطاب حيث قال: «ولله إن كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ» (الجزري، ع، 1994، ص 114) وإن دلَّ هذا على شيء، فإنما يدلُّ على الجذور الثقافية والتاريخية لأبعاد التأويل الفقهي للنص، فالإنسان يعيش في وسط اجتماعي يؤثر فيه ويتأثر به بكل ما يميّز من خصائص، وبذلك يكتسب ممارسات وسلوكيات تعبر عن البعد الاجتماعي للتحوّلات التي طرأت على المجتمع العربي الإسلامي من خلال التطرُّق إلى كيفية تأثير التغيّرات الاجتماعية في بناء العائلة، ومن ذلك؛ التأثير في بناء شخصية الأفراد التي تنعكس في السلوكيات والممارسات، وبالتالي يعيش الإنسان بين التنشئة الاجتماعية بكل ما تحمله من خصائص سوسيوثقافية وبين الواقع المتمثل والواقع المعاش. فقد حصر التفسير الفقهي داخل أسوار الفهم الحرفي للنصوص الدينية الفرعية أو الاستثنائية بالتالي كان انتقائياً واختزالياً، في حين أن النصّ القرآني هو أرقى وأرفع من أن تعامل المرأة بذلك الأسلوب الحقيّر والمهين لذاتها ولكرامتها كإنسان (عيسى، ف، 2016، ص 106-108).

لأن الفصل والاختزال والانتقائية في التعامل مع النصّ القرآني تفقده طبيعته المتكاملة والثرية والناضجة على مستوى اللغة والدلالة، بالتالي لا نستطيع أن نقدّم فكراً إسلامياً مستنيراً بنور القرآن والتجربة النبوية إلا باجتهاد جريء يثبت أنّ الإسلام غني بإمكانيات التعبير عن كافة الإيجابيات في الفكر الإنساني ونستطيع أن نقدّم الحجّة الواضحة على أنّ في الثقافة العربية والإسلامية معيناً ثرياً يمكن البحث في طياته لاستخراج المعاني الرفيعة التي تنسجم مع ما وصلت إليه حضارة البشرية من تطوّر في مجال الفكر الإنساني (عيسى، ف، 2016، ص 109-110).

إن مسألة الفكر الإسلامي في قضية القوامة أخذت في التحديث والتجديد بشكل ملحوظ من جيل إلى آخر. فالفكر المعاصر يمتلك رؤية تحديثية في تعاطيه مع النصوص القرآنية بطريقة تختلف عنها في تفاسير المنظومة الفقهية المحافظة والمتجددة (أركون، م، ص 113). ونجد من خلال استعراضنا لتفسير آية القوامة بين التفسير الكلاسيكي والتفسير المعاصر وجود توجهات حديثة وأكثر نضجاً في فهم شمولية الإسلام والسعي لفهم الغايات الكبرى بصور أكثر عمقاً، والتي من شأنها أن تساهم في تصحيح المفاهيم الخاطئة عن مسألة القوامة وطبيعة علاقة الرجل بالمرأة

من منظور شراكة وتكامل بديلاً عن التابع والمتبوع. ويمكن القول أن تحولات الفكر المعاصر في مسألة القوامة تشير إلى تطور مهم وفاعل في الفكر الإسلامي ومحاولات جادة في إجلاء الشبهات عن روح الشريعة الإسلامية، ودحض للتفسيرات والتأويلات الضيقة التي اجتهد بها أصحابها في ظروف زمنية معينة وفي مستويات معرفية لا تراعي الأبعاد المختلفة التي ترمي إليها الشريعة الإسلامية بصورة عامة (نصر حامد، أ، 1983، ص 5-6)، كما أنها تتسق والظروف الزمنية في تلك العصور. وبالتالي فإن هذا التطور والتحديث حالة طبيعية تشير إلى أهمية إعادة قراءة النصوص وتفسيرها بصورة مستمرة في كل عصر بما يتوافق مع متطلبات ذلك العصر ووسائله المختلفة وذلك من منطلق أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وهذا ما تقتضيه سنة الله في خلقه.

3-1 خطاب التحرر والحدثة:

يعاني هذا الخطاب من خواء المفاهيم الإنسانية ويتهوى في أحضان الضبابية والتلبس نتيجة تصارعه مع الواقع الاجتماعي وسقوطه في مستنقع التناقضات بين اليومي والخطاب الرسمي الذي يحتوي على إرث المخزون السوسيوثقافي وتلامسه مع النص القرآني، بذلك يتحول إلى خطاب مؤدلج نابعا من الشعور بالظلم والاستبداد والقهر الاجتماعي، يغيب عنه الوعي بأبعاد قضيته وسياقاتها الاجتماعية، فلا يستطيع إدراك تناقضات آليات الاشتغال (إيمان، ن).

بين الخطاب النسوي التحرري كفعل اجتماعي أمنت به شرائح عريضة من المجتمع العربي الإسلامي والبنية الاجتماعية التي ينتمي إليها فجوات، فنظرية علم الاجتماع المعاصر تنطوي على عملية توفيقية للتصالح بين البنية الاجتماعية والفعل (جيدنز، أ، ص 107)، بمعنى ثنائية التركيب والتشكيل بينهما عن طريق التفاعل، فقط، هل هذا التفاعل واعي ومدرك أم أنه ردود أفعال ظرفية؟ من هنا تصبح قضية المرأة العربية الإسلامية منزلق بنيوي يحدث خلخلة في البنية سرعان ما يترتب عنها ردود أفعال في الجهة المقابلة على مستوى الخطاب الذكوري يعيد إنتاج الخطاب القديم الداعي إلى المفاضلة بالمعاني الذي يدل على القهر والتسلط.

الواقع اليوم يشهد أن الخطاب التقدمي في تراجع نسبي، لأنه لا يستند على نظرية معرفية متماسكة على مستوى المفاهيم والمصطلحات التي يوظفها (Lautman, J, 1980, p 448-451)، خاصة وأننا نعيش اليوم عودة خطاب ما بعد الحدثة الذي يشكك في المكتسبات التي حققها المرأة باسم الخطاب التنويري المتفتح على نموذج الارتقاء الاجتماعي في التعليم والصحة... لصالح خطاب الإسلام السياسي الذي يدعوها إلى العودة للأصل باسم الدين.

المراة العربية الإسلامية مشدودة بين ثلاثة نماذج محافظة- عصرية وتوفيقية، كأنها في مفترق الطرق بين الشرق والغرب والمغرب- بينين، فهي إما تحت رحمة النصوص الموظفة لقهرها والتسلط عليها، أو أسيرة نقد ذاتها وثقافتها، أو في موقع الاستلاب والاعتراب الذي تفرضه اللغة باسم التحرر والعدالة الاجتماعية والمساواة في النوع الاجتماعي.

تدور هذه اللغة وفق استراتيجية العداء بين المراة والرجل (الزوج، الأب والاخ ...) (Hamdani, Louis, 2011, p43-47)، لأنها راهنت على نقد المنهجية الذكورية السائدة في المجتمع وتمردت عليها، تارة بتشيئ موضوع المراة تحت غطاء الجسد- معركة الشرف ومحرك الجمال وكلها مقدسة في العرف والدين والمجتمع.

فقوانين الأحوال الشخصية مثلا مازالت اختزالية واقصائية في الكثير من حالات الزواج- الطلاق والخلع... دون مراعاة الوضع الاجتماعي المتردي في ارتفاع نسبة البطالة وغلاء المعيشة، بما يضمن لها الاستقلال عن النظام الأبوي السائد في مجتمعاتنا.

2. المراة في خطاب التقاطع- التكامل والامتداد:

إن فكرة ما بعد النسوية فكرة صحية جدًا إن تمّ التركيز عليها، فالانطلاق من حيث انتهى الآخرون أفضل من إعادة استنساخ نفس النموذج، ومعالجة التمكين والحضور المتكامل للجنسين، فبالأكيد أن المراة بحاجة لطاقة مضاعفة، لكن هذا لا يعني أن نظل عالقين في فكرة "أولية" دون أن نكمل خطوات الوعي والنهوض بالثقافة. هنا نأتي لجوهر ما بعد النسوية، حيث يرى أصحاب هذا التوجه أن المحك الحقيقي الآن هو الاهتمام بالكل المراة والرجل والمجتمع (Tavoillot, P, 2011, p40)..

إن مسألة ما بعد الحداثة في موضوع المراة في المجتمع تقودنا إلى الدخول في الإشكاليات الثلاث للوجود الإنساني بأبعاده المرتبطة بالتجربة التي خاضتها المراة العربية الإسلامية إلى اليوم، مسؤوليتها ومدى نضجها وأصالتها ككائن إنساني. هذه الميزات الثلاث تصنع نسقا، لأنها تهم العلاقة مع المجتمع (التجربة)، العلاقة مع الآخر (المسؤولية) والعلاقة مع الذات (الأصالة) (Tavoillot, P, 2011, p11).

فإذا كانت المراة العربية الإسلامية من خلال ما حصلت عليه من حقوق اجتماعية ومدنية فإنه لا يعني أنها اكتسبت تجربة كبيرة مع المعطى الثقافي للمجتمع، بل على العكس فإن ما تواجهه في المستقبل المنتظر وما لم تصادفه في مسيرتها وفي وضعيات جديدة استثنائية يعد أصعب بكثير، يتطلب منها وضع شبكة قراءة متجددة لفهم الواقع المتجدد باستمرار، هنا يختلف سن النضج

النسوي عن سن الطفولة النسوية (Tavoillot, P, 2011, p16).، لأن لكل تجربة نهاية حسب تعبير هيجل، التجربة هي عتبة القرار الذي تتخذه الحركات العربية الإسلامية لتبلغه إلى الأجيال القادمة.

معنى المسؤولية لا ينتهي عند الأفعال والسلوكات والممارسات، بل يتعداه لتصبح المرأة مسؤولة على غيرها، أي الإحساس بالواجبات والالتزامات اتجاه الشرائح الأخرى من المجتمع: الرجال-الأطفال...

أن تصبح أصيلة، أي أن تكون كما هي، بلا مزايده، لأن ما يهددها في هذه التجربة هو الرضى بالنفس، الكسل والحقائق المزيفة والخاطئة، والأدوار المريحة التي أعطيت لها إما باسم التمكين بالكوطة، استغلال أنوثتها المشوهة وفق أسلوب التهجين hybride تارة وباسم الحدائة وما بعد الحدائة تارة أخرى، فتتولد نقص الثقة في النفس، القلق والشعور بالخواء الداخلي (Collin, F, 11986, p242).

أصالة الأنوثة تعني الطريق البيني بمعاني التفرد Singularité، الأصيل ليس هو الفردي Individualiste والأناي Egoiste وإنما المتصالح مع الغير ومع نفسه، وبذلك تترفع الناضجة عن النوع والجنس الذي صنعه المجتمع بثقافته، ليرتقي إلى الأنوثة الناضجة Maturité Féminine التي تصنع نموذج منتظم (Tavoillot, P, 2011, p12).

يرافق هذا التوجه عالمياً مفهوم "الهوية غير المحددة Indéterminée أو المائعة Fluide (القيس، م، ص55) غير المكتملة Inachevée، وهي نتاج التوجه النسوي الذي يرى أن الهوية المرتبطة بالنوع مجرد صناعة مجتمعية، فيقال "لا يوجد شيء اسمه امرأة! المرأة صناعة المجتمع (نصر حامد، أ، ص163). إن هذا المستوى المعقد من الطرح النسوي تمّ تمييعه بالمساقات العربية الإسلامية الهجينة، أو بالأحرى التشويه والتطيف عليه، ليس مهمّاً أن نتفق أو نختلف مع هذه الانجاهات، فالحقيقة أن كل هذه الأفكار البشرية لا يوجد بها حق مطلق ولا شر مطلق، كل اتجاه له مميزاته ومشكلاته، والنضج المعرفي هو الذي يجعلنا قادرين على معالجة هذا النتاج العلمي وطرحه بشكل موضوعي نزيه (نصر حامد، أ، ص167).

التقدم إلى الأمام قد لا يكون تقدماً ان لم نتعلم من تجاربنا السابقة، الأكيد هو أن معالجة كل ما سبق تكاد تكون فكرة معقدة ومخاطرة معرفية، فبعض المهتمين حالياً بالفكر النسوي ما زالوا عالقين بالطور الأول. نحن هنا لا نوجه-اللوم أو التشكيك، بل العكس، هذا النص رسالة للتأمل ومراجعة المفاهيم النسوية بشكل محدث، وتجاوز الأطوار الطفولية الأولى والتركيز على فكرة

(الخطاب المجتمعي) كمفتاح رئيسي للعلاج المضمون لمشكلات المرأة، وأيضاً التمسك بفكرة "التمكين للجميع" وتفهم الضعف المعرفي.

تتقاطع سجلات الخطاب في موضوع المرأة عند نقاط اعتمادها على سياقات اجتماعية وثقافية بعينها رغم اختلافها وتعدد رواياتها، وهي تعكس المخيال الجماعي لانتماءات هذه السجلات المحافظة- الحدائثية والتوفيقية، لأن المسألة ترتبط بمستوى إدراك المعنى والدلالة، ثم أن فهم النص القرآني عند مفسري السجلات الثلاثة فهو نسبي مقارنة بالنزول الرباني، لما انتقل من مرتبة النص الإلهي إلى مرتبة النص الإنساني القابل للتأويل عندما يتفاعل مع العقل البشري (نصر حامد، أ، ص222).

الآيات التي جاء بها القرآن الكريم بخصوص المرأة والمجتمع لم تأت لإلجام العقل البشري سواء بالتفسير النقلي- العقلي أو الاختزالي والانتقائي مثلما عرف عند المفسرين، إنما ألح على مسألة التدبير في العلامات والرموز المرثية واللامرثية، قراءة الأسباب والمسببات فيما يعرف من طبائع البشر رجالا كانوا أم نساء، فقد قسم ابن عباس مسألة تفسير القرآن الكريم إلى أربعة أصناف: تفسير شعبي تعرفه عامة الناس، تفسير تعرفه العرب بألسنتها (معرفي)، تفسير يعرفه الراسخون في العلم (النخب) وتفسير لا يعرفه إلا الله (أزلي) (الخضراوي، م). الأنماط الثلاثة الأولى تكاملية نضع فيها التفاسير المحافظة التي اعتمدت على أسبقية التنزيل والتفاسير التي أعطت الأولوية للعقل في التدبير والتفاسير التوفيقية البينية، نجد أنها تتميز من حيث القدرة على الفهم وتأويل الحقائق بالبرهان، أما التفسير الأزلي فقد تم صرفه طبقاً لأنماط الوعي عند الإنسان وما يدركه من معاني ومعتقدات، أما القرآن الكريم فلا يمكن وضعه في حيز دلالي ضيق في المعنى والمعتقد، لأنه لم يأت من تجارب إنسانية نسبية وإنما جاء لتنمية القدرات التحليلية.

إن الخطاب الذي تتقوى به المرأة اليوم هو ذلك الخطاب الذي يعلمها كيف تعيش، كيف تتواصل مع الرجل وتتقاسم معه الأشياء دون أن يستحوذ طرف على آخر، وإن يحترم كل طرف خصوصيته وهويته في إطار متناغم مع المنظومة الثقافية السائدة حفاظاً على تخزين القدرة واستخدامها في مواطن العلاج وفق سلم الأولويات في التغيير نحو الأحسن.

*- خاتمة:

لا نريد من خلال هذه المحاولة الدخول في الجدل العقيم بين الخطابات المحافظة، الحديثة والتوفيقية في مسألة المرأة والأعراف المجتمعية، بقدر ما نريد التأكيد على أهمية الاستفادة من التجارب التي خاضتها المرأة العربية الإسلامية منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم كتجربة تعبر عن

مستوى النضج الذي وصلت اليه في تعاملها مع النماذج الإنسانية الغربية والتراثية، وفق ثلاثة أنماط من الوعي ومن ثم بلورة أشكال جديدة للفهم واستيعاب التراث الإسلامي بفتحه من جديد كمقدمة لمسألة القوامة في الإسلام وفق المسكوت عنه حول السيدة خديجة وغيرها من النساء المسلمات في التراث الإسلامي، للتوصل إلى رؤية أكثر وضوحا بعد تقصي الخطاب القرآني في جملته من التكامل والتقاطع والامتداد في الأمور المتعلقة بالمفاضلة بين الرجل والمرأة.

التساؤل الذي ننتهي به يخص: ألا يوجد توافق بنيوي تام بين تطور التجربة الغربية من حيث تطور الجوانب السوسيوثقافية لهذه المجتمعات؟ ولا يوجد كذلك توافق من حيث فعل الحركة النسوية العربية الإسلامية والبنية الاجتماعية المتسلطة في مجتمعاتنا؟ فقط ينبغي الانتقال من ردود الأفعال عند النساء والرجال إلى الوعي لتفعيل التحول الملموس في الوجود بمعنى القطيعة مع فكر الاستبداد الذي كثيرا ما يستعمل باسم الأصالة وخصوصية المجتمعات العربية الإسلامية. الواقع والتجربة التي خاضتها المرأة منذ الاستقلال كشفت عن سطحية وهشاشة النماذج التحديثية في الحياة والفكر العربي الإسلامي المعاصر، والدليل هو الاضطراب في الخطاب والمعاني التي ألصقت تارة باسم التمدن، وتارة باسم العودة إلى التراث العربي الإسلامي، بمعنى الانفتاح والنكوص والانغلاق على الذات وهو ما يفرض إلا أشكالا بئيسة من الخطابات المخصصة للمرأة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الحديث النبوي الشريف.
3. أركون، محمد. (1999). الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، (الطبعة الأولى)، بيروت لبنان: دار الساقي
4. أركون، محمد. (2001). من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، لبنان: دار الطليعة.
5. الجزري عز الدين، علي بن محمد، (1994)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية.
6. القيس مروان، ابراهيم. (2014). المرأة المسلمة بين اجتهادات الفقهاء وممارسات المسلمين، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
7. ابن كثير، عماد الدين اسماعيل. تفسير القرآن العظيم، (ج 1)، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.
8. ابن منظور، لسان العرب، (الطبعة الأولى)، د.ت، بيروت لبنان: دار المعارف
9. موسي، أمال. (2011). بورقبيبة والمسألة الدينية، تونس: دار سراس للنشر .
10. شرايت، أوريليا. (2017). تمكين المرأة في الأسر السورية اللاجئة في لبنان:، أسلمة الجندر والتمكين للمرأة، مؤتمر مشاركة النساء في السلام، الأمن والعمليات الانتقالية في العالم العربي، بيروت -لبنان، مؤسسة فريدريش آيبرت.
11. ودود، أمنة. (2006). القرآن والمرأة: إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي، تر: سامية عدنان، القاهرة: مكتبة مدبولي.
12. جيندز، انطوني. (2009). الرأسالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة: أديب سوف شيش، دمشق: الهيئة العلمية السورية للكتاب.
13. نصر حامد، أبو زيد. (1983). فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند معي الدين ابن عربي، بيروت لبنان: دار الوحدة.
14. نصر حامد، أبو زيد. (2005). النص والسلطة والحقيقة: الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، بيروت لبنان: المركز العربي الثقافي
15. بوعقادة، هند، شريف، حلومة. (2016). تمثلات اجتماعية وسياقات ثقافية، إنسانيات، مركز البحث CRASC- وهران. (العدد رقم 71).
16. النمر، إيمان، النسوية العربية الجديدة... ثغرات في البنية. تمّ الاسترجاع من الرابط: trtarabi.com/opinion/15851-le12/02/2020-à-22h-12mns-
17. الخضراوي، محمد. أسباب النزول المقدس: هرمنيوطيقا الإنزال والتنزيل في القرآن الكريم. تمّ الاسترجاع من الرابط:

-
18. <https://alroya.om/p/14527405> أكتوبر 2015 . الساعة 00:29 بتوقيت مسقط
19. شرف الدين، مروة. (2019). حوار حول الفقه كأعمال للعقل الحقوقي، حركة مساواة. تمّ الاسترجاع من [soundcloud.com>unnewsarabic>reports](https://soundcloud.com/unnewsarabic/reports)
20. عيسى، فاطمة الزهراء. (2016). امرأة الفقهاء، وامرأة الحداثة، خطاب اللامساواة في المدونة الفقهية، إنسانيات، مركز البحث CRASC (رقم 74)، وهران الجزائر.
21. جيدنز، انطوني، وفليب صانت. (2018)، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: محمود الذوايدي، بيروت – لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
22. تقرير لجنة علماء الأزهر الشريف. (2019)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، تأليف لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، الدوحة: نشر وتوزيع دار الثقافة.
23. Collin Françoise. (1986), le féminisme et la crise du moderne: Introduction a Diane Lamoureux Fragments et collages, Essai sur le féminisme Québécois, Montréal.
24. Hamdani Soua , Louis Sciara. (2011). Féminisme, Condition féminine: l'exemple du Maroc, Journal Français de psychiatrie, 1(n° 40).
25. Lautman Jacques. (1980). Boudon Raymond, La logique Sociale, Introduction à l'analyse sociologique, in. ; Revue Française de sociologie, 21-3.